

الأداء والتعبير الفني في معركة المصير

بقلم محمد سالك

التعبير والبقاء الفني . ومن ثم وجدت لكل مرحلة تاريخية اشكالها الإبداعية الخاصة وانماطها التعبيرية التي تنفرد بها دون غيرها . ولعل تعاقب الاصناف الأدبية وتطور صيغ الإبداع يبرر الذي ذهبنا إليه فمن الغناء الى الملحمة .. ومنها الى المسرحية . ولم تولد الرواية الا في عصر متأخر نسبيا ، وأن سبقت بما يحسب عليها مما جاءت به عصور متأخرة ايضا كالرومانس والكبارسك . ولا نحسب ان حدود موضوعنا تتسع لنا هنا فنتنسى في الحديث عن اسباب هذا التعاقب وضرورات ذلك التدرج في ولادة الاصناف الأدبية المتعددة بله تطور صيغ التعبير التي يشتمل عليها كل صنف او نمط . وانما قصارنا ان نقرر انه بدون خلق انماط ادبية جديدة وادخال تجديدات شكلية على الانماط الموجودة بالفعل ، لا يمكن للادب - على ما يرى الشاعر والكاتب المسرحي الالماني البارز برتولف بريخت - « ان يقدم موضوعات جديدة او وجهات نظر جديدة الى الفئات الجديدة من الجمهور » .

ومن هنا .. كان غير ممكن منطقيا وتاريخيا لابي نواس او المتنبي مثلا ، ان يكتب بذات الاسلوب الذي خلص اليه امرؤ القيس او النابغة ، كما انه غير ممكن منطقيا وتاريخيا ان ينبري احدنا اليوم ليعيد علينا اصوات الغابرين من اسلافنا في حقل الإبداع الأدبي بل ان ذلك ليستحيل على من يحاوله . فما لوعينا الاجتماعي ولا لظواهر نشاطنا المتعددة ان تستوعبها ، اليوم صيغ الماضي واشكاله الإبداعية محال . فاسلوب المقامة الذي طلع علينا في مرحلة متقدمة من مراحل تطورها الحضاري ليكون من بين اكثر وسائل الاستيعاب الجمالية قدرة على التصوير او التعبير الفني ، لا يمكن لكاتب القصة القصيرة المعاصر ان ينسج الرواية المسرحية من اساليب الماضي وقوالبه وصيغه وانماطه .

بيد ان هذا لا يمنع ان تتصل مدارس الإبداع وانماط التعبير الفني .. فتعبر بانوارها ومعاييرها وقيمها القرون والاحقاب . وانما الذي توخيناه من موضوعاتنا آفة الذكر ، ان نقرر استحالة جمود الصيغ وتكلس الاساليب حتى ضمن النمط الأدبي الواحد . فاذا كان للغناء ان يتصل في عطائنا الشعري .. فباشكال متجددة واساليب متطورة تباعد ما بين شوقي والجواهري وايي ريشة مثلا ، وبين مسا ورثائه من آثار طرفه وايي تمام والتنبي ، على حميم الصلة وتوسوق الرابطة الروحية بين هؤلاء وهؤلاء .

ولعل ظاهرة الشعر الحديث وما انتهى اليه من انجازات في شكل القصيدة العربية افضل ما يؤكد ويحقق لنا مضمون المعطاة الثالثة بضرورة ملازمة الاساليب والاشكال التعبيرية لتتطلب كل مرحلة تاريخية .

يحتل الادب ، باعتباره اعرق اشكال الوعي الاجتماعي واغنى نشاطات الانسان الحية موقعا متقدما من حركة المجتمع البشري . اذ به استطاع الانسان ان يستكشف ابعاد ماضيه وحاضره .. ويستشرف آفاق غده ، فيصير من كل اولئك الى امتلاك ضرورات تحركه وصيرورته في مختلف مراحل مسيرته التطورية . والحقيقة ان الادب كان وما يزال يقوم مقام المدفعية الثقيلة في معارك الانسان الحاسمة . فكما ان هذه تمهد السبيل امام القوى المتقدمة في الحرب ، كذلك يمهّد الادب الطريق امام التغيرات الكبرى والتقلبات النوعية البارزة في تاريخ الانسان ، ولعل مثال الثورة الفرنسية الاولى عام ١٧٨٩ .. والثورة الاشتراكية الكبرى في روسيا عام ١٩١٧ ، ما ينفك يحتفظ لنا بكامل حيويته وطاقته في هذا الشأن . فلقد ولدت هانان الثورتان حلما ووعيا في الآثار الأدبية التي سبقتها قبل ان يتوفر للوعي والتحرك السياسي ان ينقلهما من حقل الضرورة التاريخية المحضة الى مجال الفعل والتحقيق العياني للموس .

وكذلك هو الامر بالنسبة للادب اليوناني القديم ، اذ استطاع بما خلق وابدع من آثار في الملحمة والشعر والمسرحية ، ان يصادر على ضرورات التحول العظيم في بنية المجتمع الاغريقي بل وان يتقدم انطلاقة فكره الرائعة ، فكان بذلك سبب ذلك التحول واساس تلك الانطلاقة . وفي ذهني .. ان ادبنا العربي قبل الاسلام هو الآخر قد صار بما جاء به من قيم روحية ومعايير في بناء القصيدة واساليب التعبير واللغة التي تمثل ابعاد الثورة الاجتماعية الكبرى التي عاشها مجتمعنا العربي في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي . ذاك ان انصهار المجتمعات القبلية المحتربة في وحدة قومية شاملة وامتلاكنا صيغة الحضارة واسباب التمدين والقوة ، ما كان للمجتمع العربي ان يلفها يومذاك ، لولا ان بسط الادب امامها السبيل فيما حقق من وحدة اللغة وتمائل الشاعر والاحاسيس الفنية .. وتقارب الافكار والاهداف بين ابناء الامة الواحدة .

ويوم كانت الضرورة تقضي بانتقال المجتمع العربي الى مرحلة جديدة من التنظيم الاجتماعي واساليب التفكير والفهم ، كان الادب هو السبيل الى الارهاص بتطلبات تلك الضرورة ورسم الطريق امامها في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين .

على انه اذا كان للادب ان يتمثل الثورة فيما يرهص بها ضرورة وقدرا ، فيسبق بذلك حركات التحول الاجتماعي ويمهد لها ، فانه ليستجيب الى دواعي الثورة فيما يتبع من اساليب ويتعد من اشكال

ألا صار بلفة الشعر الى ما يجمع بين مقتضيات التوحد العربي وحاجة الإنسان الاعتيادي في التسارع ، والحقل ، والمصنع الى واسطة فسي الاتصال والفهم لا ترتفع عن موجوده من المفردات والتراكيب اللغوية المتداولة .. فتمثل بذلك البعد الجماهيري للثورة العربية المعاصرة .
 وصادر على ضرورة تكريس كل اسباب التماثل والوحدة التي تشد المجتمعات العربية الى بعضها وترسم آفاق تطورها . وليس هذا فقط ..
 وإنما استطاع ، بما انتهى اليه من ثورة في عروض الشعر العربي - حيث انتقل بموسيقاه من رنابة الايعاع الى غنى التعدد النغمي وحيويته محققا بذلك ما يسمى بلفة الموسيقى بالهارموني ، وبما صار اليه في مجال التصوير والايحاء والرمز ، وتعدد الاصوات داخل القصيدة ، وخلق المناخات الذهنية والحسية ، استطاع بكل هذا وذلك ان يستجيب لمتطلبات العصر وما وفق اليه من غنى وتعقيد وتداخل وتركيب في رؤياه ووسائل انتاجه واساليب نظوره التكنولوجي .

ومهما يكن .. فلقد كان لعصرنا ، شأن غيره ، اساليبه الخاصة في التعبير وانماطه المحددة في الابداع الفني والادبي ، كما كانت له بلاغته ولفته ومنطقه الخاص في بناء القول وتصوير الظاهرة ورصد الحدث .

فالى اي مدى استطاع ادبنا العربي المعاصر ان يتمثل كل هذه الخصوصيات ؟ وهل استطاع فيما تمثّل منها ان يرصد ما تمتاز به الثورة الاجتماعية التي نعيشها فيستكشف ابعادها ويستشرف افق تطورها ؟

للإجابة على ذلك ، ارى ان نتلمس بعض ابعاد الثورة العربية المعاصرة ونقف على جانب من موجود وضرورات تحركها وصيرورتها العامة .

ان ما نعيشه من ثورتنا مجتمعنا ناميا وامة ناهضة ، لا ينحصر في اطرحل التناقضات القائمة بين تطلعات قوانا الانتاجية وطموحات جماهيرنا في التقدم والبناء وبين العلاقات شبه الافطاعية - شبه الرأسمالية التي جاء بها الاستثمار الاجنبي لتثقل خطانا وتمسح انطلاقتنا الحرة ، وإنما يجوز ذلك الى مهام بالغة التعقيد والتداخل فمن جهة نجد ان كل قطر يقف على ابواب تحرره السياسي ملزم بتحرير قواه الانتاجية مما تفرضه عليه تلك العلاقات المتخلفة من قيود ، ثم ان يتابع عملية تحرير قواه هذه ليصل بها الى حيث يفيم علاقات انتاج متقدمة تتجاوز به مرحلة الانتاج الرأسمالي الى الاشتراكية من حيث ان امكانات التطور غير المعقلن لا قبل ، لها بما تتطلبه ضرورات التنمية والبناء المادي من مهام جسيمة واعباء ثقيلة في ظل علاقات سوقه غير الانتاجية بحركة الرأسمال الاحتكاري العالمي .

ومن جهة اخرى .. نرى ان عملية متابعة هذا الخط في التطور لا يمكن لها ان ترضي مصالح قطاع واسع من وجود الرأسمال الوطني في الداخل . اذ يفوت عليه هذا المنهج في التطور فرصا واسعة للربح - اضافة الى ما قد يجره عليه ذلك من متاعب في حالة تحرير قوة العمل ، واقامة الجماعية في المدينة والريف مما قد يقود الى تصفيته ضرورة وانارا في عملية الانتاج الاجتماعي .. هذا الى ما قد يستثيره ذلك من اسباب المقاومة والمنف لتن فصائل عديدة من اصحاب الراسمائل المرتبطة بملاك الارض من جانب وبتحركات الاحتكارات الدولية ومخططاتها من جانب اخر ، بله قوى هذه الاحتكارات التي ظلت على امتداد عقود طويلة تحتفظ بسيطرتها الاقتصادية والسياسية على حركة السوق الداخلية .

ثم ان هذا يستلزم فرزا حادا للقوى الطبقيّة في المجتمع واعادة لترتيب اصطفاف هذه القوى على اسس جديدة ، وتحديد جديد لمفهوم الشعب قد لا يتسع لغير قوة العمل ومن يظاهروهم ويتنصر لقضاياهم من فلاحين وحرفيين ومثقفين ثوريين . من هنا يأتي البعد الجماهيري

لثورة العربية المعاصرة ، حيث ليس لغير جماهير العمل وحلفائهم ان ينهضوا بها قضية ومسيرا .

هذا الى ان وحدة التراب العربي وتكافل القوى والطافات العربية واقعا وقضية يلزمنا هو الاخر بضرورة العمل على خلق كل ما من شأنه ان يؤكد وحدة هذه الامة التي شاء لها اعداؤها ان تكون اقطارا متباعدة ، والا فلن نحصل على غير عبث باطل مما قد نحشده من قوى وطاقات في بناء هذا القطر العربي او ذلك .

وهنا .. لا بد من ملاحظة ان وجود البترول في الارض العربية ، بهذه الغزارة وتلك الاهمية الاستثنائية التي تفرد له في حساب الاستراتيجية العالمية ، لم يضاعف من جموح الاحتكارات الدولية ونشيتها بالاحتفاظ بالارض العربية في محيط استثمارها ومخططاتها التوسعية فقط ، وإنما اكسب ابعاد الثورة العربية في مختلف مناحي تحركها وتموضعها عمقا وحدة لم تالفها ثورة معاصرة ومن ثم ، فلا ندحة لمن يعرض لرصد فضايا الثورة العربية من ان يأخذ باعتباره وجود البترول، والا فقد يشط شططا بعيدا في رصده وتقديره في هذه الارض على مختلف الاصعدة .

ان قيام قاعدة الامبريالية العالمية والصهيونية - اسرائيل ، في قلب الوطن العربي مثلا ، ان هو الا بعض نتائج وجود البترول في هذا الوطن المبلى بل ان نجزئة هذا الوطن الى دويلات متنازعة ومتناحرة ، واقتطاع اجزاء عديدة منه من قبل الانظمة الرجعية في المنطقة ، هي الاخرى يمكن ان تكون بعض مردود توفر البترول في هذه الارض .
 ولذلك .. فيتعين علينا ان نشحن يقظتنا ونزيد من حاسة شمنا ، لنستدل على مواضع البترول من هويات العديد من النزوات الغربية والمعادية للإنسان التي يعج بها وطننا العربي هذه الايام ، سواء فسي السياسة ام في الادب ذلك ان اجهزة الاحتكارات وعملاها في الثقافة والفكر لا يمكن ان يكونوا بعيدين عما يجري في ارضنا العربية من صرعات او دعوات ادبية او سياسية .

وبعد .. فهذه هي ابرز معالم الثورة العربية المعاصرة . فاين يقع منها ادبنا العربي المعاصر ؟ والى اي مدى استطاعت وسائله واساليبه في الاداء او التعبير الفني ان تستوعبها قضية وطرحتها فيمة ؟
 اعتقد ان ادبنا العربي المعاصر ، اذا اسقظنا من حسابنا الاصوات الدخيلة والتيارات الرجعية التي تحاول ان تجد لها منسربا في ساحة استطاع الى هذا الحد او ذلك ، ان يتمثل الثورة هدفا ومنتظم صفوفها قوة ووعيا . وان تكون ادائها الفاعلة في اثر من موقف او حقل . هلى انه في ذلك لم يشأ ان يقتصر على الاستجابة لها مضامين وافكارا ومواقف ، وإنما جاز ذلك الى استيعابها فيما طرح من اشكال وصيغ ادبية . فكان النموذج الاساسي الذي يدور حوله هو البطل الايجابي الذي يرى خلاف البطل الوجودي ، في الاخرين مددا له .. واستمرارا لقصيته ودوره في الحياة ..

تسم الهواة المجنوة تكشف عن فهمها الفاجر
 لان الحياة رمت نحوه صدى سابح خلفه ماخر

.. او هو المقاتل في سبيل المبدأ ، الذاب عن حوض الامة ، الجواب الافاق الذي لا يفتأ يبحث عن الحقيقة وبرود المجهول ويتعنى كل ما هو خير وعادل وجميل . واذا كان مثل هذا البطل ان يمزق اهابة القلق او الاشفاق ، فإزاء قضية يدفع عنها او مهمة يحرض على ادائها . واذا كان له ان يمتلك مشاعر القربة ، فإزاء واقع يرفضه ويسعى الى تصفيته . هذا ما درج عليه الشعر بفنونه المتعددة ..
 ونقدمت به ضروب الادب الاخرى من القصة القصيرة حتى الرواية والمسرحية العربية .

ولم يقف الامر عند طرح النموذج الايجابي ، وإنما فات ذلك الى معالجة وتطوير وسيلة الادب الرئيسية ، فاقترب بها - على ما قدمنا - من لغة رجل الشارع والمصنع ، والحقل ، دون ان ينتهي بها

الى ما يكرس واقع التجزئة .. ويرد نزعات الانفصال والتألمم الضيقة ، متمثلا في ذلك بعدي الثورة العربية المعاصرة : البعد الجماهيري الذي يشكل جوهرها وقوة الدفع الذاتي فيها والبعد القومي الذي يحدد الاطار الذي تتحرك داخله والافق الذي تسعى اليه .

ولعل تعدد الانماط الادبية وظهور اشكال فنية جديدة ، هي ابرز ما وفق اليه ادبنا العربي المعاصر في استجابته لدواعي الثورة العربية المعاصرة ومطالبها التاريخية المرسومة فلاول مرة يخرج ادبنا العربي عن آفاقه الفئائية الثرية الى حيث فنون الادب الموضوعي التي لم نالها بالامس كالرواية والمسرحية ، واقصة القصيرة ، بل ان المسرحية اليوم ، لتكاد تزحم الشعر ميدانا وانرا في اكثر من ساحة عربية . وكذلك هو شأن القصة القصيرة ، والى حد ما الرواية .

ودونما ريب ان هذا التعدد وذلك التنوع في اشكال التعبير ، انما هو من مستلزمات الثورة المعاصرة ، حيث لم يعد الشعر وحده - بما يتسم به من ذاتية في الرؤيا والتعبير ، قادرا على تمثيل ابعادها واستيعاب مضامينها المعقدة بروح موضوعية خلقة . ومن ثم وجدنا حتى الفئائية في الشعر تكتسب ابعادا درامية او روائية عند عدد من افضل شعرائنا الجدد .

ان عصر الصناعة والتكنولوجيا الرهيبة ، يتطلب انماط في التفكير واساليب في تمثيل الحقيقة والتعبير عنها ، لا يمكن للصيغ القديمة في التأمل الذاتي المنعزل والتصور السكوني او الثابت : ان تتسجم معها بحال . ولذلك جنحت وسائل التعبير وصيغ الاداء الفني والذهني الى الموضوعية في الرصد والتركيب في استيطان الظاهرة او الحدث وهو نام تحرك فاعل في محيط علاقاته المتعددة وارتباطاته غير المحدودة .

فاذا كان الاخذ باسباب الصناعة والبناء التكنولوجي والعلم ، هو ما يلزمنا للظهور على كل عوامل التخلف والضعف والتبعية والتجزئة اذ ليس ثمة من سبيل غير ذلك في حدود امكانات عصرنا التطورية ، فان اتساع ساحة الادب العربي لفنون الادب الموضوعي والانتقال بالشعر الى حيث غلبة الطابع الدرامي او الروائي ، لا يقتصر على استيعاب ضرورات التحول الثوري ومطالبه في حقل الابداع الفني والادبي وانما يجوز ذلك الى النهوض بمهمة اعداد الانسان العربي لما تقتضيه الثورة من موضوعية في الرصد وتركيب في الرؤيا وعمق في الفهم .

من هنا كان اسهام ادبنا العربي المعاصر في المعركة المصرية التي نخوضها ضد قوى العدوان والغزو الامبريالي - الصهيوني ، فباغناه وغي الانسان العربي وحمله على الرؤيا التركيبية والرصد الموضوعي والاستيعاب الحي للحقائق والاحداث اليومية ، يقوم الادب بنهضة انساننا العربي المعاصر لمعركة المصير وهو في هذا يسبق الوقائع والتحولات المادية في الارض العربية ، متمثلا في ذلك روح العصر ومطالب التمدين الحديث .

وقد يجدر بنا - ونحن بصدد الحديث عن الادب ووسائله التعبيرية في معركة المصير ، ان نعرض لما تعج به الارض العربية اليوم من تيارات ادبية متضاربة ، هي في مجملها اصداة متفاوتة بما جرى ويجري في اوربا في اعقاب الحريين العالميتين المنصرمتين .

ولئن كان من غير الطبيعي او المنطقي ان نحول دون انتقال الافكار ولاقح الثقافات والتجارب ، فانه من غير المنطقي ايضا ان نترك الحبل على الغارب ازاء ما يستجد ويشيع من مواقف الفكر والادب ، فلا نرقب ما يجري في هذه الارض المتلذذة بتأمر اعداء الانسان من مزادات محمومة لقتل روح هذه الامة وتشويه فكرها وتراثها ، بقصد اشاعة روح التواكل واليأس بين صفوفها واغتيال كل بادرة واعدة او احتوائها ، ليسهل بذلك احكام القبضة على مقدراتها وامتلاك ازمة قيادتها .

ذلك ان هذه التيارات - على قرص حسن النية - تتوزع بين عدمية

لا تؤمن بشيء او تقدر بقيمة ، ونهلسية تكفر بكل شيء ولا تقف عند حد في رفضها وجوهها الفوضوي ، وميكانيكية نحط بالانسان ووعيه الى درك سحيق من جبرية عمياء يقع منها الانسان موقع الظاهرة الفيزيائية من قوانينها حيث تتصرف به وبوعيه قوانين التداي بشكل موغل في العبث واللاانظام الى غير هذه ونلك من الدعوات الشكلية التي تنفي الانسان وتلقي وعيه وتنكر عليه قدرته على الفهم وطافته في الاختيار او ممارسة الحرية التي كتب عليه ان يكونها في كل ما يقوم به او يصدر عنه .

وتلتقي كل هذه التيارات والدعوات ، بالاضافة انسى مواقف التشكيك بقدرات الامة والكفر بتراثها وانسانها العظيم على تأليه الشكل وانكار ما للمضمون من قيمة في بناء الاثر الادبي او الفني ، حتى لقد ذهب احدهم الى الزعم بان مهمة الشاعر هي ان يفجر الثورة داخل اللفة لا في المجتمع اذ ان هذه مهمة السياسي لا الشاعر .

والحقيقة ان الدعوة الى فصل الشكل عن المضمون في الادب والفن ، ليست بالجديدة وانما تمتد بعيدا في رجم الماضي لتصل الى الفيلسوف الالماني عمانويل كانت (1724 - 1804) حيث ذهب اواخر القرن الثامن عشر متساوقا مع فلسفته في الوجود في ذاته ولذاته - الى اسقاط المضمون قيمة في العمل ، واقتصر على الشكل زاعما ان الخلق او التجديد في الفن والادب انما يقوم عليه ، وليس للمضمون ايما علاقة في ذلك ولقد اخذت عنه هذا الزعم كل المدارس الشكلية Formalism التي زحرت بها اوربا اواخر القرن التاسع عشر ، وقبيل الحرب الكونية الاولى ، ثم في اعقاب الحرب الكونية الثانية .

بيد انه اذا اتسعت سوق اوربا لمثل هذه الدعوات ، فلانها كانت تعكس جانباً من حياتها القائمة وتدفع عن قواها المفرقة في العدوان والتهب الاستعماري . ذلك ان الدعوة الى تأليه الشكل وفصله عن المضمون ، انما تستهدف اساسا اسقاط المضمون ، ومن ثم اسقاط الفن والادب باعتبارهما احدي اخطر واقدّر وسائل الانسان للاتصال بالواقع وامتلاك ضرورات تحركه وصيرورته فهي اذن - محاولة لانتزاع ابعاد اسلحة الانسان والثورة آثارا واوفرها في معارك الانسان الفاصلة .

اما بالنسبة لنا .. فليس امثل هذه الدعوات ان تتسجم ومطالب المعركة القاسية التي نخوضها جماهيرنا ضد قوى العدوان والغزو في مختلف اقطار العروبة ، وخاصة في فلسطين المحتلة حيث تقف طلائع الثورة الفلسطينية المقدامة وجها لوجه امام اغتسب واشرس استعمار استيطاني عرفه تاريخ الانسان الحديث ذلك ان محاولة تعطيل الادب ، وهو طاقة عظيمة في مركتي التحرير والبناء لا يمكن لها الا ان تخدم اعداء الامة ، والا ان تقود الى تكريس كل اسباب التخلف والضعف .

من هنا كان حقا لنا ان نقف من هذه اندعوات موقف الرناب الحذر بل والرافض كذلك . بيد ان هذا لا يعني ان ننتصر لقوى الردة الادبية والمدارس التي تحاول ان تحجر الزمن فنقف الفنون والادب عند قيسم الماضي واساليبه . اذ بهذا سنكون كمن انتقل بمواقفه من اليمين الى اليمين . في حين اننا ملزمون بان نتلمس مواقفه من اليمين الى اليمين والتجديد الاصيل في الادب والفن ، والا فمالنا ان نزع الفكرة باعتبارنا ادباء وفنانين ، على اعادة صياغة الانسان العربي المعاصر .. وترسيخ علاقته بالمجتمع والطبيعة على اسس جديدة من الفهم والاكتمال الذاتي والوحدة .

ان معركة المصير تقتضي منا ان نوقظ في الانسان العربي كل عناصر القوة ونوازع التحدي الهادف والرفص الثوري ، وان نرتفع برصدنا واستيعابنا للظاهرة او الحدث الى مستوى التعقيد الذي صارت اليه الآلة الحديثة والفهم التركيبي الذي انتهى اليه العلم ، وان نعيد بناء علاقة الفرد بمجتمعه على اسس جديدة راسخة من الفهم

والمشاركة الإيجابية والحب ، وان تفجر اللغة اليومية يتابع العطاء الفني والإدبي الفني دون ان يفقدنا ذلك الى تكريس واقع التجزئة باعتبار اللهجات المحلية لاغراض آنية ومطالب عابرة .

ان احتدام الصراع بين جماهيرنا الكادحة واعدائها مسن امبرياليين وصهاينة وعملاء يتطلب منا ان ندخل بالكلمة المبدعة ميادين المعركة فنقاتل بها كما يقاتل الجندي بسنديه ، والا فليس لما نكتب ونقول ان يكون غير بطر عابت وترف لا مبرر له .

واذا كان للانسان ان ينشكل بهذه الصورة او تلك من خلال وعبر شبكة علاقاته وارتباطاته بما ينتظمه ويحيط به من ظروف واحوال مادية وروحية ، فان انساننا العربي هو اليوم من موجوده الاجتماعي وملابسات ثورته السياسية ومطالب صيرورته اليوم وغدا ، لا يمكن له الا ان يكون ايجابيا صلبا في مواقفه منفتحا على الآخرين غير منغلق على نفسه فيما يأتيه من فكر او حس ، والا فماله ان يمثل جوهره الفاعل ويتميز عما حوله من موجودات . ومن ثم .. فما يعيشه العربي من مشاعر الاغتراب والتوحد ليس لها ان تفضي الى انفلاجه على نفسه وانحياسه في شرنقة ذاته الضيقة وهمومه الخاصة ، وانما لا بد لها ان تكون اساسا ثابتا ومنطلقا مكيئا لرفضه وتمرده وثورته بكل ما يمنعه ان يمتلك انسانيته .

واذا كان للادب ان يكون حقا وفعلا قوة مغيرة في حياة الانسان والمجتمع فانه ملزم بان يستوعب ذلك يقدم بنماذج وقيم ومعايير تتركس كل ما من شأنه ان يرتفع بوجود الانسان العربي اتفرد التي سمت الثورة ... ويتخذ من معطيات محيطه وبيئته التفجرة مادة حية لما يدع من آثار تحتاج اليها الارض العربية في هذه الرحلة الحاسمة

من تاريخها النضالي العنيد .

على ان هذه المهمة ان توفر للادب الثوري ان ينهض بها ، فان يتوفر للمدارس الشكلية ان تصير منها الى شيء اللهم الا ان سبهم اسهاما فعليا في نعتيم الرؤيا وتاصيل كل مسفح زائل او عار مريض . ذلك ان ليس لهذه المدارس التي تحط بالانسان الى حضيض الظاهرة الفيزيكية غير الحية ولا الواعية ، ان تعبر عن واقع الاغتراب الذي يعيشه العربي من محيطه ومجتمعه مثلا بما يفي به ويجتث مسباته . ذلك ان هذه المدارس انما درجت منذ ان كانت - على اعتماد الاغتراب وما تركه في الفرد من احاسيس حادة . وهو اجس مضطربة اداة في تشويه الفرد وقتل نوازع المقاومة والفصل لديه وذلك عن طريق تأجيح كل مشاعر النفرة والحقد والبغضاء واللامبالاة .. وبوضع الفرد ، بوجوده من كل اولئك ، مقابل المجتمع وعلى الضد منه ، وبالوصول بحالات انتمرد وترفص الى ضرب من المشاكسة العابثة والعدمية المحضة . ومهما يكن .. فانه قد يطول بنا الحديث في هذا الشأن .. وقد يضطرننا ذلك الى ان نضرب بعيدا في العديد من ملابسانه وقضاياه ولا احسب ان المقام يسمح بذلك . ولذلك رأيت ان نقف عند هذا الحد من الرصد ، تاركين لفرصة اخرى ان يتسع لنا فيها مقام فنقول الذي نراه في موضوع استيتكي يتشعب فيه الاجتهاد ويتعدد الرأي حتى ان المرء لا يكاد يقف في ذلك على رأي واحد . على ان الثورة العربية المعاصرة - على ما قدمنا - استطاعت ، شان كل الثورات ان تفرض النمط والصيغة التي تراها لادبها .. فتاتي في كل مرحلة بما يلائمها من الادب اداء ومضمونا . ومن ثم كان هذا التنوع فسي الاصناف الادبية واساليب التعبير الفنية التي تزخر بها ساحة الادب عندنا اليوم .

رواية لهزي باربوس

ترجمة جورج طرايشي

الجحيم

يعتبر كولن ولسن بطل رواية « الجحيم » لهزي باربوس مثالا على اللامنتمي النموذجي في الادب الحديث ، ويروي ان هذا البطل يلجأ الى غرفته في الفندق ليفلق بابها ويعيش ليرقب الآخرين من ثقب الباب ، وتنطلق أفكاره بصورة غامضة عن حب قديم وما فيه من ملاذ جسدية ، الى الموت « وهو أهم الافكار اطلاقا » ، ويراقب من مكانه الغرفة التالية من ثقب في الجدار ليرى امرأة تتعري فتلهب جسمه بسياسات الشهوة . انه يرى أكثر وأعمق مما يجب ، وهو لا يرى الا الفوضى .

والحق ان باربوس يريد ان يقنعنا بأن اللامنتمي انسان لا يستطيع الحياة في عالم البرجوازيين المريح المنعزل او قبول ما يراه ويلمسه في الواقع ، لان البرجوازي يرى العالم مكانا منظما تنظيما جوهريا وتمنعه دقائق حياته اليومية من الاهتمام بعنصر القلق المرعب الذي يحيط به . أما اللامنتمي فانه لا يرى العالم معقولا ولا منظما ، ويقذف بمعانيه الفوضوية في وجه دعة البرجوازي وهو يحس الكآبة العميقة ويشعر بأن الحقيقة يجب ان تقال مهما كلف الامر ، والا فلن يكون الاصلاح ممكنا ...

الثمن ٥٠ قرشا

منشورات دار الآداب